حكى جناناً باخضار مدبَّجة يحالها قرقفاً من كان مُهتافا
وقد غدا نزهةَ المشتاق منظرهُ اذ عمَّهُ الحسن اوساطاً واطرافا
فالرأسُ في بلَجٍ والسفح في جمجٍ والذيل في وهجٍ قد ضمَّ اسجافا

ولهُ القصائد الدينيَّة الحسنة جارى فيها الشاعرين المفلقين السيد جرمانوس فرحات والخوري نيقولا الصائغ نخصُّ منها بالذكر قصيدتهُ الالفيَّة في اثبات الدين المسيحي ومدحهُ للكنيسة الرومانيَّة وبيان رئاستها وتهنئتهُ للبابا بيوس التاسع في يوبيلهِ الاسقفي وتاريخهُ لعقيدة حبل العذراء بلا دنس الى غير ذلك. وكان يرِدُ الله ضريحهُ يكاتب العلماء والادباء. ومنهم من نظم القصائد في مدحهِ من ذلك ما اطراهُ بهِ العالم العلامة الشيخ يوسف الاسير:

اوحشتنا بالتناني ايها الخوري فانت بالفخر لا المخبَّر فاخوري
كنَّا نظنُّك من قول الوشاة سوى ما قد رأينا وما سمعٌ كمنظورِ
انَّا وجدناك حبراً كاملاً بطلاً في العلم والحلم بل في الحكم ذا النورِ
خوري ولكنَّهُ اعيت بلاغتهُ قسًّا بفضل فضالٍ غير منكورِ

وهي طويلة اكتفينا بما سبق لبيان فضل صاحب الترجمة زاد الله في ثوابهِ ونفعنا بتآليفهِ وآدابهِ

الفتاة المفقودة

رواية تاريخيَّة عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

وكان وجه الشمس في اثناء زيارة الشبَّان الاربعة لقصر مُونسيفور قد تبرقع بالغيوم وانتشر في السماء عارضٌ من السحب المتكاثفة ولمعت في الافق بروقٌ خاطفة. فخاف الزوار اذا خرجوا من القصر ان تدركهم الامطار في طريقهم ولا يبلغوا قريةً اخرى يبيتون فيها ليلتهم الَّا بعد العناء التامّ. فطلبوا من الحاجب ان يرخِّص لهم بان يقضوا تلك الليلة في القصر فلبى الى دعائهم بطيب القلب

ثمَّ اخذ الزوَّار يروِّحون النفس في خمائل الحديقة واستنشاق زهورها العطرة الى ان أخذهم السأم من الحديث. فعرض مورِيس دي لوساك على رفقتهِ ان يقضوا مساءهم في

لعب يلهيهم عن الملل والبطالة فلم يجدوا لهوًا افضل من لعب الاستتار (cache - cache) وذلك بان يتوارى اثنان منهم في بعض المخابئ ويبحث عنهما الآخران الى ان يقفا على مكانهما

فتفرَّق للحال اصحابنا في انحاء القصر بجلبة عظيمة لم يُسمع لها مثيل منذ يوم اكليل لوسيًّا المفقودة. فكانوا يدورون في مقاصير الحصن وينزلون في اسرابهِ ويطلعون الى سطحهِ حتى بلغ احدهم وهو موريس دي لوساك الى الدهليز الذي وصفناهُ سابقًا فوجدهُ احسن موضع للاستتار عن اصحابهِ فانساب بين الاخشاب المقسَّاة وهو يقهقه فرحًا لوجودهِ مثل هذه الخبأة التي ييأس رفقتهُ من اكتشافها

ولمَّا وصل الى السرب المتسع الجوانب بقي هنيهةً لاطيًا فيهِ ينتظر ما سيكون من امر رفقتهِ. فبعد ثلاث دقائق سمع ضوضاءهم عن بعد فخاف ان يعثروا عليهِ فالتجأ الى زاوية في اقصى السرب مستندًا الى جدارها فاذا بالحائط يتحرك فضرب بيدهِ الجدار واذا هو باب يدور من داخلهِ على عتبة متوارية في الارض وكان البـاب اذا أُقفل لا يختلف عن جوانب السرب شيئًا فيظنُّهُ الرائي انهُ احدى زواياهُ

فدفع موريس هذا الباب بشدَّةٍ وكان من الحديد فرأى وراءهُ ممرًّا. ففكر ان يتستَّر في داخلهِ لئلا يجدهُ رفقتهُ فدخل الممر وترك الباب وشأنهُ فعاد الباب الى مكانهِ بقوَّة لولبٍ دفعهُ الى العتبة. فانقفل وسُمع لهُ صوتٌ مرنٌ ارتجفت لهُ فرائص موريس ولكن لم يكن المسكين ليظنَّ انهُ وقع في داهيةٍ دهياء تذيقهُ الموت الوانًا لاسيما انهُ كان يسمع ضوضاء رفقتهِ عن كثب. فصمت لم يبدِ حراكًا ريثما يبتعد عنهُ طالبوهُ فيخرج اليهم ويمزح بهم لعدم وقوفهم على مخبئهِ

وكان موريس واقفًا في ممرهِ وهو في الظلمة الحالكة لا ترى عيناهُ شيئًا. فلمَّا مضى عليهِ بضع دقائق وسكتت اصوات رفقتهِ اراد ان يفتح الباب ويرجع الى سرب الاخشاب ويخرج منهُ الى الدهليز الذي في زاوية الحديقة فلم يجد ليدهِ مقبضًا يفتح بهِ الباب المقفل وراءهُ. وكان الباب كلهُ مصفَّحًا بصفائح الحديد فتحيَّر لذلك ثمَّ اخذ يدخل اظافرهُ واطراف اصابعهِ في مَوصل الباب باطارهِ فلم تنشب اظافرهُ في الصير بتَّةً وكان اطار الباب لا يكاد يتميز عن جوانبهِ

فتفزع موريس وصرخ مرعوبًا فلم يُسمع لصوتهِ صدى. فاراد ان يتجول في

هذا الحاز المظلم لعلهُ يجد لهُ منفذاً آخر فمشى بعض خطوات حتى دار بهِ المعبر يميناً واتسع جانباهُ فتبعهُ هما حتى وصل الى غرفةٍ طولها نحو خمسة امتار في عرض ثلاثة منها وعلوّ اربعة وكان لها كوة صغيرة من الزجاج ينفذ فيها النور من علُ. وعلى احد جوانبها كوّة اخرى ضيقة مستطيلة تعلو القامة

فلما استقرّت رجلهُ في قرارها اشتمّ منها رائحة اشبه بنتن جيفة بالية. فاشمأزّ لهذه الريح الكريهة لكنهُ اخرج من جيبهِ قليلاً من الكافور كان معهُ فاستنشقهُ

ثمّ تجلّد وتقدّم الى الامام واخذ يتفقد تلك الغرفة مستنيراً بالضوء الضعيف اللائح من الكوّتين. فوقع نظرهُ على اسلحة معلّقة على الجدار علاها الصدأ وبجانبها خوذة فارس مع نفيرٍ ضخم. فهتف الفتى من ساعتهِ: « هذه ولا شك مخبأة البارون دي ادراي المجهولة وان هذا الّا نفيرهُ الذي كان ينفخ فيهِ اذا اراد الهجوم برجالهِ على الاعداء وكان يُسمع على مسافة بعيدة. واذا نفخت انا فيهِ نجوتُ لا محالة ». فاخذهُ وجعل يبوّق فيهِ فلم يُسمع لهُ صوتٌ البتة لتقدم عهدهِ. فاعادهُ الى مكانهِ كئيباً

ثمّ حدّق ببصرهِ الى زوايا الغرفة فرأى على يمينهِ سواداً واذا هو كرسي مبطّن ذو سندٍ ومرفقين وكأنّ امرأةً جالسة عليهِ متكئةً على احد مرفقيهِ بهيئة النائم وقدماها على موطاء امام الكرسي

فظنّ موريس انها ابنة الحاجب اتت هذا المكان فراراً من حرارة القيظ فنامت هنالك

فاقترب منها ليوقظها فلم تُحر جواباً. فاراد ان يجتذبها فاذا هي جيفة فتاة ميتة

فاضطربت جوارح المسكين وامتقع لونهُ وانعقد لسانهُ خوفاً وهلعاً وقفّ شعر رأسهِ وسقط على الارض مغشياً عليهِ

فبقي على هذه الحالة ساعةً الى ان خيّم الظلام على الارض. وكان في خلال ذلك انّ العاصفة هبّت على القصر وهطلت الامطار وقصف الرعد فبلغ صوت هزيمها مسامع موريس فانتبه مذعوراً كرجل ضغطهُ جثام في منامهِ يستيقظ متوجساً هلعاً

ففتح عينيهِ واذا بجيفة الفتاة في كرسيّها بازائهِ. فقام مسرعاً يطلب لهُ مفرّاً من هذا المنظر الهائل ورجع الى باب المعبر المغلق الذي دخل منهُ لعلهُ يجد وسيلة لفتحهِ فعالجهُ مدّةً وسعى في فتحهِ جهدهُ فخاب املهُ واخفق مسعاهُ

ثم عاد الى الغرفة واخذ مقعدًا صغيرًا وجده هنالك فصعد عليه عند الكوة المستطيلة وشرع يصرخ بملء فيه راجيًا انَّ احدًا يسمع صراخهُ من الخارج فيسرع الى نجاته الَّا انَّ الكوة كانت على جانب القصر المشرف على الوادي فذهب الصوت متضعضعًا لم يلقَ اذنًا صاغيةً لاسيما انَّ الريح لم تزل عاصفةً والامطار هاطلة

فخارت قوى موريس من كثرة صراخهِ ويبس حلقهُ عطشًا فاخذ منديلهُ وجعلهُ على طرف الكوة حيث كان يجري ماء المطر فلمَّا ابتلَّت جعل يمتصُّها الى ان ردَّ غليلهُ واكل كسرةً من الخبز كانت بقيت معهُ من سفره فعادت اليهِ قواهُ

وفي تلك الاثناء اعار اذنهُ الى الخارج فسمع شبه لغطٍ من بعيد فلم يشك انَّ رفقتهُ يطلبونهُ ويدورون في كلّ انحاء القصر ليقفوا على آثارهِ فصار يجهد نفسهُ في الصراخ ما امكنهُ. وكان احيانًا يرجع الى باب المعبر الحديدي فيضربهُ بيديهِ وبلكمهُ برجليهِ رجاء ان يسمعهُ احدٌ من رفقتهِ فيعرف مكانهُ. وبقي على ذلك ساعةً الى ان ترشَّح جسمهُ بالعرق واضناهُ التعب

فلمَّا أيس من فتح الباب أُصيب بضرب من الجنون فصار يخبط الارض برجليهِ وينتف شعرهُ. ثمَّ رمى بنفسهِ على الحضيض متمرِّغًا بالتراب كالصريع ثمَّ فاضت عبراتهُ واجهش بالبكاء طويلًا وكان يفكر في والدتهِ المسكينة وما يعتريها من الوجد والحزن اذا بلغها فقد ولدها. وكان يزيدهُ رعبًا منظر جثَّة تلك الفتاة وهي لا شك لوسيا دي براكنتال المفقودة في نهار عرسها الذي سمع قصَّتها قبل بضع ساعات. فما أصابها سيصيبهُ ايضًا لا محالة فيموت حيًّا في قبرهِ هذا كما ماتت هي قبلهُ

وبينما كانت هذه الافكار والهموم تساورهُ وتفتُّ في عضدهِ اذ سمع ساعة القصر تدقُّ الساعة العاشرة من الليل وهي ساعة رقادهِ في بيت ابيهِ وكان موريس لا يأوي الى فراشهِ دون ان يصلّي صلاة الليل التي تعلَّمها من امّهِ التقيَّة فما سمع دقَّات الساعة حتى سبق الى فكره ذكر الصلاة المعتادة فهبَّ اسرع من طرف العين وجثا على ركبتيهِ وصلَّى الى الله صلاةً لم يخطر على بالهِ انَّهُ تلا صلاةً احرَّ واخشع منها في حياتهِ

فبقي مدَّةً مستحرًّا في الدعاء الى الربّ منقذ البائسين والى البتول العذراء امّ المراحم فشعر بالهدوء عاد الى قلبهِ وكأنَّ صوتًا يناجيهِ في الباطن أن: « ثق يا بُني فانَّ الخلاص قريب »

وقام من صلاته ثمّ انقع غلّته بمنديله المبلول بماء المطر واسند ظهره الى الحائط وطلب من النوم بعض الراحة لجسمه المنهوك . فما لبث ان استولى سلطان النوم على اجفانه وغرق في السبات لكنّه لم تمرّ عليه هجعة من الليل حتى عرض له منام مزعج صوّر له في مخيّلته الاهوال التي قاساها في مساء نهاره فاستيقظ من سنته مرعوبًا

وكان اديم السماء قد صفا في خلال رقدة موريس والقمر قد طلع فوق الافق فتفذ شيء من نوره في حبس السجين مارًا بالكوّة المستطيلة التي مرّ ذكرها . فانعشه هذا المنظر غير انّ بصره وقع ثانية على الكرسي الذي فيه جسم الفتاة الميتة فاسودّت الدنيا في وجهه . فصرف نظره الى زاوية اخرى لعلّه يكشف عنه هذه الغمّة واذا بعينين متّقدتين كانهما الشهابان تشخصان اليه فانخلع قلبه لهذا المنظر واقشعرّ بدنه واحسّ بعرق بارد يجري في كلّ اعضائه

وكان المسكين لا يعرف ما وراء هذا المرأى العجيب وهل العينان لانس او لجنّ . فبقي واجمًا ينتظر بفروغ الصبر طلوع الفجر ليزيل الشبهة وينفّس عنه الكربة وكانت الدقائق تلوح له اطول من السنين الى ان تزّق ستر الليل قليلًا فضعف نور العينين اللامحتين . ثمّ انفلق الفجر تمامًا فرأى واذا بالعينين عينا هرّ كبير كان دخل من الكوّة ليبيت ليلًا في ذلك المكان المظلم

فقام موريس لوقته وحاول ان يمسكه ليأنس به ويسلّيه الّا انّ الحيوان نفر منه وقفز الى الكوّة كأنّه السهم الرشيق

فبقي السجين وحده كما كان يوم امس . لكنّ عينيه كانتا اعتادتا على ظلمة هذا المكان فاخذ يسرّح ابصاره في كلّ اثاث الغرفة وادواتها فتبيّن له بحيث لم يمكنه الريب انّ هذا المكان نعم هو مختبأ البارون دي ادراي الذي طالما حاول النساس الوقوف على سرّه الى ذلك العهد

ثمّ اقترب ثانية من جثة الفتاة ليفحصها واذا هي بهيكل عظام اشبه منها بجثة ميت وكانت لحمانها قد تناثرت وبقي عليها قطع من الجلد وعلى رأسها بعض خفاف من الشعر . وكان في اصبعها خاتم من الماس وعلى عنقها قلائد من اللؤلؤ في وسطها صليب من الذهب الابريز

فلمّا نظر موريس الصليب آلة فداء البشر قرّبه من شفتيه وقبّله بكل اكرام ثم

جثا امامهُ وصلّى الى الله ثانية طالبًا منهُ النجاة باستحقاق صليب ابنهِ الحبيب. ولم ينسَ في صلاتهِ تلك البائسة التي لقيت حتفها قبلهُ في ذلك الحبس

ثمَّ رأى في طرف آخر منضدة (طاولة) علاها الغبار وتخرها السوس لتقادم عهدها فنفض غبارها وفتح جرَّارها واذا بكتابٍ كبير قديم الطبع صعب القراءة. فامعن فيهِ النظر حتى تمكَّن من قراءة عنوانهِ فوجدهُ ترجمة قديمة للاسفار الالهيَّة فقلَّبهُ واذا بورقةٍ في ضمنهِ كُتب عليها بقلم رصاص ما يلي :

« ايها الشقي الذي ساقهُ سوء حظهِ الى هذه الهوَّة فتبر بها حيًّا ارفع بنظرك الى الله وتوسَّل اليهِ ان يتغمَّد ذنوبك ويقبل ضحيَّة حياتك ويرحم نفسك لأنَّهُ لا مناص لك من هذا السجن او تقوم الساعة »

لوسيًّا دي براكنتال

(ستأتي البقيَّة)

في ٢٨ حزيران ١٧١٥

مطبوعات شرقية جديدة

الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقيَّة

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب ل. رتزفال اليسوعي

طُبعت في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٩٩ عدد صفحاتها ٨٠

ليست الموسيقى ولله الحمد فنًّا مهملًا في الشرق كما يظنُّ بعض العاذلين وكفانا لردّ هذه المزاعم ما نراهُ حولنا من المغنين الجيدين الذين تعمل اصواتهم في الآذان ولا عمل الرحيق في الابدان. ولا تخلو هذه البلاد من قوم افراد يحكمون عزف الملاهي ونقر الاعواد. ولكن يا تُرى اين الاحكام والسُّنن التي يجري بموجبها هؤلاء الموسيقيون ؟ فان استطلعت مطلع احدهم وبحثت عن الاصول التي يتبعها في غنائهِ اجابك : هذا فنٌّ لا قاعدة لهُ غير الاختبار اليومي والتقليد المتواتر واذا كان لذلك اصول في سالف الازمان فقد دخلت في خبر كان

بيد ان حضرة الاب رتزفال بينما كان يطلب لهذا المشكل حلًّا اطلعناهُ في خزانة كتبنا الشرقيَّة على نسخة من كتاب الدكتور ميخائيل مشاقة جمع فيهِ ما امكنهُ من